

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ  
وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ  
يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴾ .

« صدق الله العظيم »

[ سورة إبراهيم : الآية ٣١ ]

في هذا المقال وما يليه نتحدث عن عبادات الإسلام : فضائلها ومراميها ونواحيها الحضارية ، فإن هذه العبادات جميعاً تنشئ بين العبد وخالقه علاقة مباشرة تنفع العبد أكثر ماتنف ، وترفع قدره وتفتح أمامه آفاقاً واسعة للخير والأمل .

وسنبداً هذه المرة بالكلام عن الصلاة والزكاة فنلاحظ أنها تردان في الغالب متلازمتين ، فإذا ذكرت الصلاة جاء معها ذكر الزكاة لحكمة رقيقة أرادها الخالق فإن الصلاة حق الله على عباده ، والزكاة حق المؤمن على أخيه المؤمن ، والله سبحانه يربط بين حقه جل وعلا وحق العباد ، حتى يشعر الإنسان أن الإسلام في بعض معانيه علاقة شاملة بين المؤمنين في جملتهم وتضعهم على صلة دائمة ، فالله سبحانه خالقهم ، والصلوات المفردة تربط بين الإنسان وربه ، وصلوات الجماعات تربط الأمة كلها إلى خالقها ، وتوقف أفرادها صفوفاً مترابطة متساوية تخاطب ربها ، وتعلن إليه خضوعها ، وتسأله الخير والبركة ، والإمام هنا لا يقوم

بدور القس أو الوسيط وإنما هو ضابط لوحدة المسلمين في الصلاة ، لأن الإسلام عندما حلت بركاته على الخلق أراد أن يجمعهم في وحدة إيمانية ، وهي روحية وشكلية معاً ، فنحن نصلى على نسق واحد حدده رسول الله ﷺ وقال : « صلوا كما رأيتموني أصلي » بل إن الله سبحانه وتعالى يربط بين التنظيم العسكري لجماعة المؤمنين وإعدادهم الروحي ، فهو يرينا في آيات كريمة من سورة المائدة كيف نصلى صلاة الخوف ، لأن إعداد الأمة للجهاد كان من مرادات الله من وراء نعمة الإسلام .

فإن أمة الإسلام في تقديره لا بد أن تكون أمة مجاهدة ، وكل مسلم قادر على حمل السلاح ينبغي أن يتأهل للحرب ويقوم بواجب الدفاع عن الأمة ويشارك في إبلاغ كلمة الحق إلى ملايين الخلق ممن ينتظرونها ، وخلال السنوات العشر التي قضاها رسول الله عاملاً في المدينة كان تحويل الأمة إلى جيش مجاهد في سبيل الله من أوليات غاياته ، وهو لم يقصد من وراء الغزوات النيف والثمانين التي قادها أو أرسلها لم يقصد إلى الغزو أو الغلب أو الغنيمة بقدر ما قصد إلى فتح المسالك للإسلام إلى بلاد الناس وقلوب الناس ، وهو لم يقصد قط إلى إنشاء جماعة صغيرة من المحاربين المدربين يقومون بواجب الجهاد وبقية الأمة قعود ، لأن ذلك كان من شأنه أن ينشئ أقلية عسكرية قوية منفصلة أو متميزة عن بقية الأمة ، وذلك كان يؤدي من تلقاء نفسه إلى سيادة الأقوياء على المستضعفين داخل أمة الإسلام ، وهذا يتنافى مع روح الإسلام ولا يتفق بحال مع روح البذل والعطاء والجهاد التي ينبغي أن تعم أمة المؤمنين وتميزها عن غيرها من الأمم ، وإنما قصد رسول الله إلى تحويل الأمة إلى أمة مقاتلة ، ومن النتائج الباهرة التي حققها قبل وفاته أنه بمواصلته المستمرة للجهاد وحرصه على أن يشارك الناس كلهم فيه أنه جعل أمة الإسلام كلها أمة جيشاً أو جيشاً أمة .

وآتيك بآيات صلاة الخوف لكي تبين الربط الدقيق بين الصلاة والجهاد

وهذه الآيات حافلة بالحكم والمعاني الإسلامية ، فلنقرأها على مهل ، فإن للقرآن أعماقاً لا يدركها إلا القارئ المتهمل المتدبر ، والإسلام كما نعرف دين القلوب ودين العقول جميعاً .

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ  
إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾

[ النساء / ٤ / ١٠١ ] .

وهنا نلاحظ أن الله لم يحل للمؤمنين أن يرجئوا الصلاة عند خوف العدو ، لأن إرجاءها معناها أنها عند الله شيء آخر غير الجهاد ، فهي عنده سبحانه وتعالى جهاد من نوع آخر ، وإنما الذى شرع للمؤمنين فى هذه الحالة هو أن يقصروها فحسب ويصلوها فى وجه العدو وفى ميدان الحرب وساعة الخوف ، وأول ماصليت صلاة الخوف كان فى غزوة ذات الرقاع فى المحرم سنة ٥ هـ / يونيو ٦٢٦ م ، وهى إحدى الغزوات التى قادها ﷺ أو سرايا التى بعثها على أعراب نجد ممن غدروا بالمسلمين فى مأساتى بشر معونة والرُّجِيع ، وكان أولئك الأعراب أو الأعراب قد اجتاحتهم خوف من قوة أمة المدينة ، فقد تعودوا أن يفرضوا أنفسهم على الجماعات المستقرة فى شمال الحجاز ، أو على طرق التجارة الصادرة إلى العراق وجنوبى الشام ، فجاءت أمة المدينة وفرضت نفسها على شمال الحجاز كله ، وانتدبت نفسها لتحرير العباد من سلطان أولئك البدو وفرض الإتاوات على الناس وإرهابهم بالغلظة والقسوة وأساليب الغارة والسلب ، فدعتهم أمة الإسلام إلى دخول الإسلام ، ورفضت أن تؤدى لهم إتاوة أو خفارة ، وكانوا يأملون أن تستطيع مكة قهر أمة المدينة فى غزوة أحد ، ولكن أمة المدينة خرجت من محنة أحد قوية ظافرة ، وأبو سفيان زعيمها أحجم عن لقاء المسلمين فى « بدر الموعد » كما وعد ، وأقام المسلمون سوق بدر عشرة أيام باع الناس فيها

واشتروا في أمان أمة المدينة .

وهذا الغيظ من أمة المدينة كان وراء غدرتي بشر معونة والرجيع التي احتملت وزرها بعض قبائل عالية نجد من لحيان ومحارب وعامر ، فخرج الرسول إلى ذات الرقاع وسط منازل هذه القبائل المتمردة بل في منازل أقواها وهي أنهار وثعلبة ، فتهارب رجالها أمام قوات المسلمين واختفوا يرقبون المسلمين من وراء آكام الرمال ، وإن قلوبهم لترعد وهم يرون المسلمين يستاقون أنعامهم ويأسرون من قدروا عليه من أهلهم ، وهنا وتحتم بصر أولئك الجامدين الذين ذلوا لعزة الإسلام يقوم المسلمون بصلاة الخوف وسط ميدان القتال ويصلونها على النحو الذي أمرهم به الله سبحانه فيها يلي :

﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يَصَلُوا فليصلوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِزْبَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ . وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً . وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أُنْذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِزْبَكُمْ إِنْ أَنَا اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا . ﴾

[النساء / ٤ / ١٠٢ ]

وهكذا أدى المسلمون صلاتهم في نحر العدو وهو يتأملهم في دعر الخائف ورعب المتلصص الذي يخشى أن يدركه العقاب ، وقد تركت هذه الصلاة أثراً عميقاً جداً في نفوس أولئك المعريدين ، فقد رأوا أنه لا قبل لهم بأمة الله ، وإن أوان العريضة وإرهاب الناس ونهبهم قد انتهى ، ولم يعد أمامهم إلا الدخول في أمة الإسلام والإيمان والنظام والعزة أو الفناء ، هنا وعلى ضوء هذا الربط التاريخي يتجلى لك معنى جديداً من معاني الصلاة ، فهي ليست معرضاً للإيمان

فحسب بل هي معرض للقوة ، وهي هيئتها ونظامها وترتيبها مظهر من مظاهر عزة المؤمنين .

وقد درجنا على أن نفصل في دراستنا بين العقيدة والشريعة ، مع أن الإسلام كل واحد في ذاته ، فعقيدته أخلاق وحضارة كما رأينا في كلامنا عن التوحيد ومعانيه الحضارية ، والشريعة ( وتدخل فيها العبادات ) أخلاق وحضارة ، والصلاة التي نحن بصدددها هي رأس العبادات ، ولكنك لا تستطيع النظر إليها على أنها مجرد فرض مقرر على المسلم ، وأن المسلم يقوم بها لأن الله سبحانه أمر بها ورسول الله ﷺ نظمها وقتنها . وتطيل كتب الفقه الكلام عن تفاصيل إقامة الصلاة ، حتى إن باب الصلاة في كتاب مثل موطأ مالك يقع في مجلد كامل ، ومسند أحمد عندما يورد أحاديث الصلاة يسترسل في الكلام والروايات والأحاديث والآثار حتى يحسب الإنسان أنه لن يفرغ ، وهذا كله عظيم ولكنه لا ينبغي أن يشغلنا عن الحكمة الكبرى من فرض الصلاة ، وهي أنها تربية وتهذيب وأخلاق وتكوين لشخصية المسلم ولجماعة المسلمين ، وعندما أرى المسلمين يهرعون لأداء الصلاة في وقتها خطفاً كأنها واجب يتخلص منه الإنسان لئلا ينساه يتملكني العجب ، ويقع في خاطري أننا ينبغي أن نعيد النظر في الصلاة لكي يزداد استمتاعنا بها وانتفاعنا منها .

وأنا عندما أنهض للصلاة أشعر بفرحة ، لأنني سأقف لحظات بين يدي خالق الكون أدعوه وأناجيه لأن الصلاة في أصلها الدعاء أو طلب الرحمة وما قضيت فريضة الصلاة مرة إلا أحسست بعد أن أسلم منها أنني أحسن حالاً بعدها ، وقد تعجبت مرة وأنا في الحرم النبوي من رجل واقف يصلي في ركن المسجد وقيل لي : إنه يصلي كل يوم مائة ركعة بين الظهر والعصر ، ومائة أخرى بعد صلاة العشاء ، وقلت في نفسي كيف يعدد الركعات المائة ، وهلى هو يصلي أو يحسب ؟ هل هو مؤمن أو عداد ؟ ومثل هذا الرجل لم يقرأ قول الله تعالى :

﴿ ليس البرَّ أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين . وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [ البقرة ٢ / ١٧٧ ] .

فهنا نجد الصلاة في إطار عام إنساني أخلاقي شامل يصور لنا لباب الإسلام عقيدة وشريعة ومكارم أخلاق مجموعة بعضها إلى بعض على نحو تحس معه أن صلاتك جزء من أخلاقيات وسلوكيات شاملة لا يصح إسلامك على الوجه الأكمل بدونها ، فأنت تصلى لأنك تزكى ، وتزكى لأنك تصلى ، لأن العبادة الواجبة عليك لله سبحانه وتعالى لا تتم إلا إذا قمت بالعبادة الواجبة عليك نحو أخيك المسلم المحتاج وهى الزكاة ، ثم إن البر - وهو الوفاء بعهدك مع الله - لا يتم بمجرد توجهك في الصلاة نحو المشرق أو المغرب ، وإنما هذا الوفاء لا يكتمل إلا إذا قام على أساس متين من الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب - والمراد به هنا كل كتب الله الصحيحة - والنبيين . وهذا الإيمان الشامل بالله وكتبه ورسله لا يكتمل إلا إذا تخلقت بخلق إسلامي إنساني صحيح ، فأعطيت المال على حبه - أى دون نظر إلا إلى رضا الله سبحانه - وكان عطاؤك شاملاً لكل المحتاجين من حولك على قدر طاقتك ، والعطاء هنا إسلامي أى أنه لا يقتصر على المحتاجين بل يشمل ابن السبيل ، وهو الأخ المسلم الضارب في الأرض منقطعاً عن أهله وناسه ، فأصبح مسئولية أمة الإسلام كلها ، لأن الإسلام دين ووطن ، ولابد كذلك من أن تفكر في أسارى المسلمين والذين يقعون منهم في ضيق وشدة . والأسير في الإسلام لا يقتصر على من يقع في أسر العدو بل يشمل كل من وقع في أسر المرض أو الحاجة أو الهموم ، وقد

سمع الصوفي المشهور أحمد الرفاعي عن امرأة ركبها الموم بسبب ابن لها اغتاله اللصوص على الطريق ولم يكن لها غيره ، فنهض إليها مع نفر من أصحابه ليواسوها بالمال والصحبة ، وأوصى بها واحداً من أتباعه وقال له : لا تنس الأسيرة ، لقد أوصانا الله سبحانه بها عندما أمرنا بأن ننفق المال في الرقاب ، فكوا رقة الثاكلة الأسيرة .

بل إن البر لن يتم بذلك كله فلا بد من الوفاء بالعهد ، وقد قال الإمام الغزالي في الإحياء : عجبت ممن ينتقض العهد ويعد نفسه في أهل التقوى ، بل إن البر لا يكتمل إلا بالصبر في البأساء ، والإمام الجويني يفسر البأساء هنا بأنها الصبر في الجهاد في سبيل الله ، لأن الله ذكر الصابرين في البأساء هنا ثم فسره بقوله تعالى ( وحين البأس ) أى عند عدوان المشركين على دار الإسلام أو خروج المؤمنين للجهاد في سبيل الله .

وهذه كلها أخلاقيات وسلوكيات إسلامية مترابطة يكمل بعضها بعضاً ، والله سبحانه يختتم هذه الآية العظيمة بقوله ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ .

هنا ترى أن إقام الصلاة هو في الواقع جزء من واجبات ومطالب وخصال كثيرة جداً لا يكتمل إيمان المؤمن ولا يكون من الصادقين المتقين إلا بها جميعاً ، ولكن الصلاة تتميز من بين واجبات المسلم هنا بأنها العبادة التي تضعك بين يدي الله سبحانه وتعالى ، فتشعر أثناء قيامك بها بمكانك من الله ومكانك من الإسلام ، ولذلك فقد جعلها الله خمس صلوات موزعة على ساعات النهار من الفجر إلى الليل ، حتى يكون حضورك مع الله مستمراً ، ويكون حضور الله سبحانه وتعالى في قلبك جزءاً من كيانك .

وهذا هو جانب الجمال في الصلاة في الإسلام ، إنها تهب المصل راحة نفسية

وترفع عن كاهله أعباء الحياة ، لأنه مادام مقيم الصلاة فهو لا يشعر أنه يقف وحده في مواجهة الحياة ، فإن الله دائماً معه ، وإذا نزل به ضيق فإن الله معينه على الخلاص ، ولهذا يحتاج الإنسان إلى الصبر مع الصلاة ، ولهذا يقول الله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [ البقرة / ٢ - ١٥٣ ] .

والصبر هنا ليس هو صبر الكسالى الذين يحسبون أن الصبر إنما هو التواكل وعود الإنسان خاملاً حتى يأتي الفرج من عند الله ، وإنما هو صبر المؤمنين المتقين الذين يبذلون أقصى الجهد فى السعى والعمل ، ويتوكلون على الله بعد ذلك ، وكان هذا هو مذهب رسول الله ببذل أقصى وسعه فى أداء رسالته ويستعين بالصبر والصلاة ، وكان يجد فى الصلاة راحة نفسية ويسمىها قرّة عينه وأحياناً كان يستطيل الوقت بين الصلاتين ويشتاق إلى الوقوف بين يدي ربه فيقول : أغثنها يا بلال .

والصلاة من العبد دعاء إلى الله ، وصلاة الله سبحانه على العبد رحمة منه به :

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ . [ البقرة / ٢ - ١٥٥ - ١٥٧ ] .

وهذا من أجل معانى الصلاة فى الإسلام ، والله سبحانه يؤكد فى آيات أخرى مثل قوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ، هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا . تحيتهم يوم يلقونه سلامٌ وأعد لهم أجراً كريماً ﴿

[ الأحراب ٣٣ / ٤١ - ٤٤ ] .

والمراد هنا ذكر الله في الصلاة وخارجها ، ونحن نرفع أقدار أنفسنا بالوقوف بين يدي الله ونستعين بالمولى جل وعلا ، وهو يشملنا بعطفه ويصلي علينا وملائكته ، وذلك جانب آخر من جوانب جمال الصلاة في الإسلام ، فهي رابطة ولاء وإيمان ورحمة وسلام بين الإنسان وخالقه ، ونحن في الحقيقة عندما نصلي لا نقوم بواجب نحو الله فحسب ، بل نقوم بواجب نحو نفوسنا . فنحن نتطهر بها ونعتز ونلتمس بها من الله قوة وعزماً ورشاداً .

ولهذا فنحن لا نقوم للصلاة إلا إذا كنا على طهارة ، وقد أمرنا بالوضوء عند كل صلاة ، إلا إذا كنا واثقين من أن وضوءنا لم ينقض ، وكان رسول الله على طهارة أبداً لأنه كان مع ربه دائماً ، وقد فصل الله سبحانه أمر الوضوء ، لأنه أراد أن يضيف إلى طهارة النفس قبل الصلاة طهارة البدن .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيَنبِتَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ [ المائدة ٥ / ٦ ] .

وأنت ترى هنا أن الله ينص نصاً واضحاً على الطهارة مع الصلاة ، حتى تكون الصلاة طهارة ونظافة في نفس الوقت ، وهو يفصل الأمر هنا لكيلا يستهين الناس بأمر النظافة والطهارة ، والنظافة كما نعرف مظهر من مظاهر الحضارة ، ومن عجب أننا مع كثرة تشدقنا بالدين لا نرعى جانب النظافة حق

رعايته ، وكأن علينا أن نتنظر قرناً حتى يأتي أهل الغرب ويعلمونا النظافة وكيف تكون ، بل هم الذين اخترعوا وسائل جلب المياه إلى البيوت ، وتنقيتها وتطهيرها وتيسير أمور الحمامات ، ونحن مع ذلك لا نستحي ، وإلى يومنا هذا مازال الكثير جداً من مساجدنا في حاجة إلى النظافة ، في بلاد الغرب حيث لا تتطلب الصلاة نظافة أو طهارة لا تدخل الكنيسة إلا وجدتها آية في النظافة .

وفي كل حي من أحياء المدن وفي كل قرية جمعية من الناس رجالاً ونساء يهتمون بنظافة الكنيسة ، حتى المساجد الكبرى عندنا نجد لكل واحد منها فرقة من الخدم ومع ذلك فإنك تجد المسجد في حاجة إلى نظافة ، وإنما كل همنياً شقشقة اللسان ، وما أكثر المخادعين الذين يتمسكون بظاهر الدين دون لبابه ، وعرفت واحداً من أولئك المنافقين إذا حدث أن اضطرت الظروف إلى لمس امرأة صدفة أسرع يتوضأ مع أن الله سبحانه لم يقل : ﴿ إِذْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ بل ﴿ إِذَا لَمَسْتُمْ ﴾ و الفرق بين مجرد اللمس دون قصد والملامسة التي تطول بعض الوقت وربما أثارت في النفس شيئاً .

**والصلاة صلاتان :** صلاة المرء في بيته أو مفرداً في أى مكان ، وهى أداء الفرض مع ما لا بد لذلك من خشوع وإحساس صادق بأن الإنسان مع ربه وبين يديه حتى يسلم من صلاته ، **وصلاة الجماعة** ولها معان ووظائف أخرى إلى جانب فضائل الصلاة التي نعرفها ، فهنا يجتمع المسلمون بعضهم إلى بعض ليقوموا الصلاة حتى يشعروا بقوة الجماعة ويذكروا أنهم أعضاء في الأمة الإسلامية الكبرى ، والإسلام - كما قلنا في فصول سابقة أمة وجماعة وجيش ، ورسول الله ﷺ ربي أمته في المدينة في الصلوات وفي المغازي ، ولهذا فنحن نطالب في صلوات الجماعة بالالتزام بنظام يشبه نظام الجنود ، فنحن نصطف صفوفاً مستقيمة متجهة بوجوهها وقلوبها نحو الكعبة ، وهنا تأخذ الصلاة معنى وحدة الهدف ووحدة الغاية ، وهذه فضيلة ينفرد بها الإسلام : إنه دين جماعة ، ويد الله مع

الجماعة . ثم إننا نصلى خلف الإمام ، والإمام هنا رمز للقيادة ووحدة الأمة ،  
ونقف صامتين خاشعين ، ونتحرك حركة واحدة في نية الصلاة والقيام والركوع  
والسجود .

وإمعاناً في إشعارنا بروح الوحدة أثناء صلاة الجماعة قالت بعض المذاهب  
إن المصلى خلف الإمام يكتفى بقراءة الإمام وهو منصت ، حتى يكون المصلون  
جميعاً مع الإمام في نفس الآيات . ولا ينبغي أن تنسينا صلاة الجماعة ما ينبغي  
للصلاة من خشوع وسمت ، وهنا ينبغي أن ننسب إلى مجافاتنا لما ينبغي للصلاة  
الجماعة من خشوع ، فنحن نسمع قرآن الجمعة كأننا ننصت إلى مطرب ،  
ولا يكاد الشيخ يتلو آية حتى ينطلق نفر من الناس مستحسنين ، ويصل الأمر  
أحياناً إلى درجة تمس حرمة الصلاة ، وبعض المقرئين أنفسهم يدعون الناس إلى  
أن يصيحوا مستحسنين بإسرافهم في التطريب مما يعنى حرمة الصلاة ويخرج بنا  
عن خشوعها ، ولا تخلوا الصلاة في المساجد من ثقلاء لا يزالون يصيحون : الله  
الله يفتح عليك ! وصلوا على حضرة النبي ! ووحدوه ! وكل ذلك خروج على  
ما ينبغي للصلاة من خشوع وسمت وجلال ، وفي السنوات الأخيرة درجوا في  
صلاة الجمع على أن يقولوا في المذيع إن الصلاة يحضرها فلان الوزير وفلان  
المحافظ أو الموظف الكبير ، مع أن الناس جميعاً إذا دخلوا المسجد للصلاة  
انتفت عنهم صفاتهم الدنيوية والوظائفية ، ولم يعودوا إلا عباداً لله يستون مع  
غيرهم من عباد الله ، وحيداً لو أقلعنا عن هذه العادة التي يشعر الإنسان معها  
أن هؤلاء المسمين بالكبراء يشرفون المساجد بصلاتهم ، وما أظن أن واحداً منهم  
يريد ذلك .

وإذا كان الفن الإسلامي يعجبك فاذاً أن كل هذا الفن وما يتميز به من  
خصائص وشخصية فنية متميزة بين مدارس الفنون في الدنيا إنما ولد في المساجد  
هنا ولدت العمارة الإسلامية والزخارف الإسلامية التي تعتبر من أعظم مدارس

الفن في تاريخ الحضارة الإنسانية ، وهذا باب واسع ألف الناس فيه الكتب ، وهذا على عظيم شأنه في تاريخ الحضارة إن هو إلا ثمرة جانبية من ثمرات الصلاة ، وهي في صميمها عبادة وعمل وحضارة شأنها في ذلك شأن كل عبادات الإسلام .

\*\*\*